٢٦ من أوراق الرئيس السادات

الجليد.. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

القذافى وخطته اللقيطة: محاربة إسرائيل من سوريا فقط!

كان على الرئيس السادات أن يحصى المشاكل التى أمامه وأن يراها بوضوح ليحلها واحدة واحدة.. وأحصاها جميعاً. ولكن وجد أمامه مشكلة كبرى هى أن الجيش ليس مستعداً.. وفى نفس الوقت كانت روح الهزيمة والتمزق قد استحكمت من نفوس الشبان ومن نفوس حملة الأقلام فى مصر.. كما أن عدداً من الصحفيين قد تطوعوا لتشويه مصر وتلطيخ سمعتها..

مصريون يفعلون ذلك لصالح القذافى والسوفيت.. وفى نفس الوقت كانت جريدة الأهرام ورئيس تحريرها وجماعة المفكرين القادرين على حل كل مشاكل الكون جميعاً قد اتفقوا على رؤية ورأى واحد: هو أن مصر انتهت.. راحت.. ضاعت..

وليس أمام مصر إلا أن تختار القذافى..

كيف؟. قالوا له فصدق..

وجاء القذافى يغزو الرأى العام المصرى وحده.. جاء بالقميص والبنطلون والصندل يعرض نفسه على القبائل لعلها تبايعه ـ كأنه نبى الصحراء.. أو لأنه كما يقول نبى الصحراء.. وعرض نفسه على قبيلة مجلس الوزراء وقبيلة مجلس الشعب وقبائل المؤسسات الصحفية فى مصر.. فلم تبايعه.. وبايعته جريدة الأهرام وشجعها رئيس تحرير الأهرام ونشروا له ندوته أو «بروتوكولات حكماء الأهرام»..

ولكن الرئيس السادات لا يرفع عينيه عن القوات المسلحة، ولا عن ذلك اليوم الذى تحدد واختاره القدر موعداً لانتصار قواتنا المسلحة، واسترداد كرامتنا العربية..

قلت له : أمامك مصر كلها مفتوحة . خاطبها . ناقشها . اسمع منها .. أمامك مجلس الشعب ومجلس الوزراء .

وكلفت وزير الحربية الجديد احمد إسماعيل أن يستعد . أى أن يوقف الجبهة . وأن يتهيأ لتحضيرات الهجوم . وأنا أترك الجبهة الداخلية الآن .. فالذى سمعته عن القوات المسلحة ومن القوات المسلحة أذهلنى . ووجدت أن هذه هى المعركة : معركة إعداد الجيش ليدافع عن مصر وعن القومية العربية كلها ..

وأحسست أمام « الردة » التى اجتاحت بعض الناس . أنه لابد من عمل شىء بسرعة . وأحسست أن أحمد اسماعيل فى اللحظة التى كان يرفع فيها الساتر الترابى كان يرفع من معنويات الجيش أيضاً .. فالسواتر الترابية كانت شيئاً أهم من التراب . وكانت أخطر من مجرد ساتر عندنا يقف أمام ساتر عند اليهود .. أو يعلو على ساتر اليهود .. لم أشعر قط أن هذا التراب الذى اشتركت فى رفعه كل شركات المقاولات فى مصر ، كان تراباً وليس تراباً .. ففى استطاعة قواتنا أن تعلو وأن تقف فوق هذا التراب بأسلحتها وتكشف الغدر كما كان يفعل فى قواتنا ..

لقد أقام أحمد اسماعيل ساتراً ترابياً عالياً على شكل حدوة الحصان . وقال اليهود إن المصريين قد اعتادوا على بناء الأهرامات .. حتى فى العصر الحديث أقاموا هرماً .. ولم يكن بناء الأهرامات الترابية هذه إلا لحكمة يعرفها اليهود وإن كانوا يتظاهرون بأنهم لا يعرفون حكمتها .. وجاءت على شكل حدوة الحصان ، لا باعتبار أن هذه الحدوة هى رمز للتفاؤل ، ولكن لأسباب عسكرية ..

وبعد ذلك جاءنى أحمد اسماعيل يقول لى : تمام يا أفندم ! وكان صادقاً فيما يقول ، فهو رجل جاد . وعلى درجة عالية من الثقافة العسكرية والثقافة العامة .

وفى نهاية ديسمبر واجهت الشعب كله بما حدث ونصحت اليمين واليسار وطلعت الصحيفة اليومية ورئيس تحريرها مستشار القذافى تقول : إن القرارات التى أصدرتها غير مدروسة .. وكانت تقصد قرار طرد الخبراء السوفيت وقرار عزل وزير الحربية الذى راح يدعو لزعامته فى الجيش .. وكان مبنى هذه الزعامة على هدم معنويات القوات المسلحة .. وقد عزلته واثنين آخرين حاول أحدهما الانتحار فى السجن .. وأرسل لى ورقة ملتهبة جداً عندما انتصرت قواتنا فى أكتوبر ..

وأمام مجلس الشعب أكدت للشعب وللأمة أنه من الضرورى أن نكون على حذر ، وأن ننتبه الى مزالق لا يحق لنا أن ننجرف إليها ، سواء بالنسبة لتحرير الأرض أو الممارسة الديمقراطية ..

فقضية تحرير الأرض العربية هى التزامنا الأساسى ، وإليه وفى سبيله يجب أن تتجه كل أعمالنا ونياتنا فلا طريق إلى استرداد الحق إلا بالقوة .. إلا بقواتنا المسلحة . ولا يمكن لقواتنا المسلحة أن تؤدى دورها إلا إذا كانت هناك جبهة داخلية متماسكة وصلبة تؤمن بهدفها وتعرف طريقها إلى تحقيقه مهما كانت التكاليف .. ثم ان الوحدة الوطنية هى الدعامة الوحيدة للجبهة الداخلية المتماسكة الصلبة ..

وأعلنت أيضاً أنه بدءاً من الآن لن أسمح ولن تسمحوا ولن يسمح شعبنا بنغمة طائفية من أى شخص ومن أى مصدر ولأى سبب . ثم إننى أيضاً لن أسمح ولن تسمحوا ولن يسمح شعبنا باستقطاب يمزق قوى الوطن خصوصاً بين الشباب بدعاوى اليسار المغامر أو اليمين الرجعى !

فى هذا الوقت من نهاية عام ١٩٧٢ كنت أتلقى معلومات بأن القذافى على صلة بالطلبة . ويبعث لهم بتعليمات وفلوس .. والطلبة على صلة بالصحيفة اليومية .. وهذه الصحيفة تطبع للطلبة مجلة .. ويمكن ربط هذه الحلقات فى سلسلة واحدة . والسلسلة تبدأ هنا من مصر وتنتهى بالقذافى وبالروس أيضاً ..

وكل هذه الحلقات لها معنى واحد : أن مصر انتهت .

والهدف : يجب أن يعمل القذافى شيئاً .

وهذا يفسر قلق القذافى ومستشاره على معرفة كل ما يجرى فى مصر وان كانوا يفسرون كل شىء لصالحه هو ..

وقد وضعتُ أمام القذافى : أننى أتخبط مع اليمين واليسار وأن الجيش عاجز تماماً . وأن اليهود يتطورون يوماً بعد يوم . وأن كل هذه المشاكل لن يحلها إلا رجل واحد .. أما مصر كلها بتاريخها برجالها بماضيها بحاضرها بمؤسساتها .. وبما حققته وبما هى قادرة عليه . كل ذلك لا شىء .. لا أحد .. كل ذلك لقنوه للقذافى وأخذوا فلوسه قبل ذلك وبعد ذلك وحتى اليوم !

وأذكر أنه فى أوائل سنة ١٩٧٣ كنت فى زيارة إلى يوغوسلافيا ورأيت أن أمر على القذافى . وفى بيته انعقد مؤتمر صحفى . وسألنى صحفى ليبى عن مغزى ما حدث من طلاب الجامعات المصرية ..

ووجدتها فرصة لكى أقول فى ليبيا وعلى مسمع من القذافى الذى كان يتظاهر بأنه مشغول بأشياء أخرى أو أفكار أخرى .. فأكدت لهم : أننا جميعاً ممزقون من الداخل منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ ثم إن حالة اللاسلم واللاحرب قد ضاعفت هذا التمزق الداخلى ومن الخرج الذى يستشعره ويتعذب به كل مواطن ، ليس فى مصر وحدها بل فى البلاد العربية . وأشرت إلى أنه يجب ألا نستسلم لهذا التمزق . بل على العكس علينا أن نواجه هذا النطق الخطير .. والطلبة كغيرهم من المواطنين يعانون من هذا التمزق .. والذى حدث ليس حقداً عاماً .. وفى نفس الوقت يجب ألا نحوله إلى حقد ..

وأسمعت القذافى أيضاً أن مصر بها خمس جامعات : الأزهر والقاهرة والاسكندرية وعين شمس وأسيوط .. ويبلغ عدد الطلاب فى الجامعات والمعاهد العليا ربع مليون ..

ثم قلت لهم إنى رويت للأخ القذافى ونحن نتكاشف هنا فى طرابلس أن مجموع الخارجين على إجماع الطلبة لا يزيد على ستين أو سبعين طالباً فإذا أضفنا إليهم بعض ذيولهم فلن يزيدوا على مائتين .. ومثل هذا العدد لا يدل على رأى عام .. بل إننى قد منعت طلاب جامعة الأزهر من الخروج فقد كان فى نيتهم أن يتصدوا لهؤلاء الخارجين .. أما جامعة أسيوط فقد استنكرت بالاجماع كل ذلك ..

وقال الطلاب إننا يجب أن نتصرف إلى دروسنا ..

وأكدت لهم أن النيابة العامة تحقق فى كل ما فعله الطلاب ، تأكيداً لسيادة القانون .

أما مجلس الشعب فهو يحقق فى ذلك من الناحية

● وكان من ضمن البرنامج أن نذهب معا إلى الإسكندرية . واستقبله الناس ورحبوا به ..

السياسية وذلك عن طريق لجنة استقصاء للحقائق .

وأشرت إلى أن التهويل فى أثر مظاهرات الطلبة وبواعثها قد بالغت فيه صحف بيروت ..

أو بالغت فيه الأفلام العميلة للقذافى وغيره فى مصر وفى بيروت أيضاً ..

أو الأفلام الصهيونية العميلة كما فعل الصحفى اليهودى دافيد هيرست الذى طردته من مصر .. فقد كان هو أيضاً يتلقى معلوماته من صحفيين مصريين ، لا يجدون عيباً فى التجنى على مصر وسمعة مصر ..

وأدهشنى أن تكون هذه الأسئلة فى بيت القذافى .. ولابد أن تكون هذه الأسئلة يتلقين منه . كما أن آخرين مأجورين يلقنونه بتفسيراتهم عن الذى يحدث فى القاهرة ..

وتضايقت جداً من أن هذه الأسئلة وجهت لى فى مؤتمر صحفى ، بعد كل الذى قلته فى مصر وشرحته ووضحته .. وبعد كل الذى أعلناه .

إذن فالصورة عندهم مختلفة عن الواقع ، أو أن القذافى يريدها أن تكون مختلفة .. وكأنهم لا يصدقون ما أقول .. أو كأنه هو حزين لما حدث فى مصر .. فقد تضاءلت الأحداث وتضاءل الذين اشتركوا فيها .. وهدأ كل شىء .. وساد القانون ، وسوف يسود دائماً .. وجاء ذلك صدمة للقذافى والناس الذين يستأجرهم ليخدعوه ..

حتى الذين صناعتهم التفكير والتنوير فى مصر قد أصدروا بياناً .. بيان الكتاب . وظلموا فيه توفيق الحكيم . وقد قابلت توفيق الحكيم بعد ذلك . وقد عزلت هؤلاء الكتاب . ولم أشأ أن أبعث بهم إلى المجمعات الاستهلاكية ، وإنما نقلتهم إلى هيئة الاستعلامات .. ولم أقطع مرتب واحد منهم . ثم أعدتهم جميعاً يوم ٢٨ سبتمبر ..

وعندما أستعيد كل ما حدث فى ذلك الوقت أجدنى مشغولاً تماماً وقلقاً فى نفس الوقت . ولكن حريصاً على أن أتصرف بنتهى الهدوء وأن أقوم بترتيب المشاكل واحدة بعد الأخرى .. وكان أهم ما يشغلنى هو الإعداد للمعركة . وقد أعلنت ووعدت . وأنا أعرف والذين حولى يعرفون أن المسألة جادة وأن الموقف خطير . وأن أيامنا الحاسمة قادمة لا ريب فيها ..

فى ذلك الوقت فوجئت بالقذافى يطلب انعقاد مجلس الرياسة . وكان المألوف أن نلتقى نحن الثلاثة : حافظ الأسد والقذافى وأنا . ثلاثتنا فقط . ونستدعى أى أحد نرى رأينا ضرورة لذلك . ولكن هذه المرة طلب القذافى أن يأتى كل واحد منا بوفد معه . لابد أن هناك شيئاً ما يريد أن يشرك فيه الوفود . لا أعرف . ولكن سوف نرى .

وأرسلت إلى الرئيس حافظ الأسد أخبره برغبة القذافى أن يأتى على رأس وفد . وكان فى الوفد المصرى المشير أحمد اسماعيل .

وفى نهاية الاجتماع تحدثت باعتبارى رئيساً لمجلس الرياسة وقلت : إن الأخ معمر القذافى هو الذى طلب أن يكون الاجتماع هذه المرة بالوفود .

ثم أعطيت الكلمة للقذافى قائلاً : تفضل يا أخ معمر !

وجاء كلامه أسوأ مما تصورت . فهو لم يتعال على الشربة كلها . وإنما راح يشتم سوريا ورئيسها حافظ الأسد . وحزب البعث .. ولم يكتف بذلك بل شتم الأمة العربية كلها ..

والمعنى الذى يقصده هو : أنه لا أحد فى الأمة العربية كلها يفهم مثله .. ولا يصلح للقيادة أو الزعامة غيره ..

لقد قالوا له ذلك ، وصدقهم . وهو الآن يعرف ماذا حدث فى مصر ، وما الذى ينتظره .. فهو إذن يحدثنا جميعاً باعتبار أن الوضع قد انتهى .. وأن كل شىء فى انتظاره ..

وفى كل مرة أتأمل ملامحه لا أستغرب ما يقول ..

ثم إنه قد ذهب فى جنونه إلى حد السب والقذف . فعلاً بدأ .. (قذافياً) فأطلق من الكلام ما لا يمكن قبوله ولا احتماله . فقد قال للرئيس حافظ الأسد وهو يسخر منه ومن سوريا : إن رجلاً يهودياً كان من الممكن أن يكون رئيساً للجمهورية السورية !

وهو يشير بذلك إلى الجاسوس الإسرائيلى كوهين الذى اعتقلوه وأعدموه فى سوريا !

وطلب الرئيس حافظ الأسد الكلمة . وتحدث فى غاية الهدوء والأدب . وقال للقذافى ما معناه أنه طفل .. وأنه لا يعى ما يقول !

وبدأت الحركات العصبية للقذافى تتزايد .. وطلب لأول مرة فى حياته سيجارة ، لأنه لا يدخن ..

ورفعت الجلسة . فلم أكن جاهزاً للرد على القذافى . وفى نفس الوقت لم أشأ أن ترتفع درجة الحرارة أكثر من ذلك ..

وفى اليوم التالى هاجمت القذافى بعنف . وقد أذهلنى أنه فى حديثه المضطرب قال إن الطلبة فى مصر على حق

شىء غريب ! بعد كل الذى قلته والذى شرحته والذى أكدته له بعهود فيقول إن الطلبة على حق . هذه العشرات من الطلبة على حق ومئات الألوف من الطلبة الذين استنكروا ما فعلته هذه الشراذم . على باطل

وأعجب من ذلك أن القذافى كان قد نقد خطة عسكرية لمواجهة إسرائيل . وقد استهل حديثه بأننا لم نهتم بهذه الخطة . ولم نعرها أى اهتمام ..

ولسوء حظه كنت قد كلفت المشير أحمد اسماعيل أن يدرس هذه الخطة وأن يرد عليها

وفى هذا الاجتماع أعلن المشير اسماعيل أنه قد أتى معه بالخطة . وأنه عرض هذه الخطة على أكاديمية ناصر . وأن الأكاديمية وهى قمة الدراسة العلمية المتخصصة قد درستها وردت عليها

أما هذه الخطة التى تقدم بها القذافى فهى كيف نواجه إسرائيل . وكان من آرائه العظيمة الحكيمة أن يوقف العمليات العسكرية على جميع الجبهات وأن تركز على الجبهة السورية وحدها وذلك بأن تنقل إليها كل القوات . وفى رأى القذافى أن هذه هى الخطة الوحيدة التى يمكن أن تنجح فى مواجهة العدو .

هذه الخطة المجنونة كان قد قدمها أيام جمال عبد الناصر . ولما كشفه جمال عبد الناصر اعترف القذافى بأن هذه الخطة ليست من صنعه وإنما قد وضعوها له . ثم وضعوا اسمه عليها

وجمال عبد الناصر هو الذى أطلق عليها اسم « الخطة اللقيطة » . أى التى لا نعرف لها أباً ولا أماً !

وليست هذه هى الخطة الوحيدة التى وضعها القذافى . التى قفز عليها القذافى وادعاها لنفسه . فهناك خطط أخرى كثيرة بعث بها لجميع الأكاديميات العسكرية يصحح فيها المعارك العسكرية التاريخية الكبرى

كمعارك روميل فى الصحراء الغربية . ومعارك مونتجمرى . . !

ولابد أن الروس سيأخذون بوجهة نظره فى تصحيح معارك ستالينجراد التى أصبح اسمها لتجمراد والذى كان اسمها بطرسبرج والتى سوف يكون اسمها قذافينجراد . كل شىء ممكن . فالقذافى يعتقد أنه بفلوسه يستطيع أن يشترى أى شىء وأى أحد . والروس يؤكدون له أن هذا ممكن لأن هذا حلمه فهو زعيم بالحق الالهى على كل العرب ! . على الرغم من أن الروس لا يؤمنون بأى اله !

واعترف بأننى تضايقت جداً وشعرت بشىء من القرف . فلا هذا الذى نراه بشر . ولا هذا الذى نسمعه كلام معقول . . فقد كنا أمام إنسان منحط . . غاية الانحطاط . . فلا هو يحسن الكلام . ولا هو يحسن تقدير الأمور . ولا نحن مطالبون من أى أحد بأن نتحمله أكثر مما تحملنا .

ورفعت الجلسة . مكتفين بهذا القدر القليل من الكلام الذى سمعت والكلام الذى قلت والصبر على هذا .

وجاءت التقارير تقول لى إن الإذاعة والتليفزيون فى حالة استعداد تام . . لم أفهم . وعرفت أن القذافى قد أعلن فى الاذاعة والتليفزيون أن اليوم إجازة . . وأن ليبيا قد ذهبت لمجلس الرياسة لتعرض أموراً هامة .

أما الإذاعة والتليفزيون معاً فيعلنان بين لحظة وأخرى : أنها لحظات تاريخية . . حاسمة . ليبيا تتقدم بمشروع التحول الخطير . . العقيد الآن يتقدم . . العقيد يشرح . العقيد يعلن قضيته . . ليبيا الآن تواجه العالم كله . .

كل هذا جاءنى أخباره بالليل . أى قبل استئناف الاجتماع فى اليوم التالى . .

فعرفت لماذا كان القذافى يريد اجتماعاً بالوفود . . إنها مظاهرة أعدها القذافى وجعل الشعب الليبى والعالم العربى يتفرج . . إنها خطة ومظاهرة . أراد أن يحرجنا أمام العالم العربى . . إنها مسرحية أو تمثيلية أو دراما . .

وفى اليوم التالى قلت له : ما هذا الذى تفعله . . ما هذه الأعمال المسرحية . أنت جهزت الإذاعة والتليفزيون لتفتح معنا معركة على الهوا ! .

وأطلقت عليه كلمات كالرصاص . والغريب فى أمره أنه يسمع هذه الكلمات ويجنى رأسه وكأن شيئاً لم يسمعه . وفى الليل اعتذر للرئيس حافظ الأسد عن كل كلمة قالها . وقد قلت للرئيس حافظ الأسد : إن القذافى سوف يعتذر إلى أقصى حد . كأن الذى وجه إليك العبارات النابية شخص آخر . . وهو بالفعل شخص آخر . .

ولم نلتق بعد ذلك . وفى كل مرة يبعث فيها بأحد يطلب أن نجتمع مرة أخرى كنت أرد عليه قائلاً :

أبداً . . قبل أن يتعلم كيف يكون إنساناً متحضراً . . أو إنساناً ما فلن ألتقى به !

إنه هو أيضاً يردد نفس الكلام الذى يقوله الصحفيون الرخيصة . . أو يقوله « مجلس الحكماء » . . بل إننى سمعت رئيس التحرير إياه يحدثنى هو أيضاً عن مجلس الحكماء فمن رأيه طبعاً أن مصر راحت وأن مجلس الحكماء هذا وحده القادر على إدارة مصر وتجنيبها الضياع والهزيمة العسكرية . .

وذكرته على نصيحته الغالية هذه وقلت له : ابتداء من اليوم مقالاتك تعرضها على الرقيب !

فقال : إن هذا لم يحدث أيام جمال عبد الناصر .

وقلت له : جمال عبد الناصر كان قد أقفل الصحافة كلها عليك . . ولم تكن لأحد أية حرية .

واستأذن فى أن يسافر إلى الشرق الأقصى لبعض مرتقه عندما يتوقف عن الكتابة . . وسافر وهو كالقذافى تماماً يؤمنان بأن مصر انتهت . أو لعله سافر حتى لا يجد مصر عندما يعود ؟ !

وفى مارس من سنة ١٩٧٣ اجتمعت مع المشير أحمد اسماعيل فى بيت صغير فى كنج مريوط . . وكان اجتماعاً تاريخياً لأننى أعطيت فيه قرار الحرب . ولم أحدد متى يكون ذلك من هذه السنة . .

وفى ذلك الوقت كانت قواتنا تتدرب على القتال وعلى مواقع تشابه تماماً المواقع التى سوف تحارب فيها . . وفى منطقة قريبة من القناطر الخيرية . . حيث الرمال والحاجز المائى والعبور وسواتر الرمل . .

وكان هذا الكوخ هادئاً متواضعاً . أقامته وزارة الزراعة منذ ستين عاماً . .

وقد جاء الرئيس حافظ الأسد إلى هذا الكوخ فى زيارة سرية . واتخذنا معاً فى شهر أبريل قرار المعركة .

وقد قدم لنا الفريق عبد الغنى الجمسى دراسة ضافية عن أنسب الأوقات للقتال . وكانت هذه الدراسة خلاصة أبحاث فى علوم كثيرة أبسطها علم الفلك . . ففى هذه الدراسة وصف لنا الظواهر الطبيعية على مدار السنة . . حالة الجو والمد والجزر وحركة الرمال والشروق والغروب . . وقد كتب الجمسى هذه الدراسة بخط يده .

ومن يقرأ هذه الدراسة يشعر صعوبة العمل العسكرى وأنه ليس سهلاً كما يتصور بعض المحللين أصحاب نظرية « المنخل والغربال فى الحرب والقتال » . والذين يعتقدون أن القذافى هو عطاء عظيم للعالم كله . . وأنه هبة من الجماهيرية الموريتانية إلى القومية العربية !

كل شىء يسير حسب الخطة الموضوعة . والمتفق عليها مع الرئيس حافظ الأسد . وكل يوم يمضى نشعر باقتراب اللحظات الحاسمة . .

وهى ولا شك كذلك : إنه ليس مصير مصر وسوريا وحدهما . . وإنما هو مصير الأمة العربية لسنوات السنين . . فهذه المرة إذا لم ننتصر فإن كل ما قاله العدو والحبيب سوف يصدق علينا . . وإننا شعوب كلام . وإنه لا قومة لنا بعد ذلك . . ولن يثق أحد فينا ولا فى قواتنا العسكرية . .

وقد جربت بصورة ألمية معنى أن يكون الإنسان صادقاً فيما يقول . ثم لا يجد أحداً يصدقه . . أو إذا صدقه فمن باب الإشفاق عليه . . أعرف ذلك جيداً . وقد جربته وتعذبت به . وعانت نفسى على نفسى . . ولكن من أجل مصر كل شىء يهون . .

وفى يوم من تلك الأيام من صيف ١٩٧٣ تلقيت نبأ يقول : وصل !

■ سألت : من ؟

قالوا : القذافى . .

■ وصل ؟ أين ؟

- إلى مطار القاهرة .

■ كيف ؟

- جاء ومعه أسرته . . وعدد من الحقائب .

● فأمرت بأن يعد له قصر الطاهرة . وقابلته .

وسألته :

■ خير يا معمر ؟

- خير يا سيادة الرئيس . .

■ ماذا جرى ؟

- جئت أنا وزوجتى وأولادى وملابسى وكتبى وسلاحى . . جئت إلى مصر ولن أعود إلى ليبيا .

■ أهلاً وسهلاً . ولكن لماذا ؟

- لن أعود قبل إتمام الوحدة الاندماجية !

■ الله ! . . أنت غيرت سياسة تقديم الاستقالة . . إلى سياسة السفر إلى مصر ؟

- نعم . اعتبرونى لاجئاً سياسياً !

■ أهلاً وسهلاً . . ولكن . .

- لن أعود قبل إعلان إتمام الوحدة الإندماجية السورية مع مصر !

■ يا معمر ألم أنصحك أكثر من مرة أن تكف عن هذه الطريقة . . يا معمر إن الوحدة لا تكون بهذه الصورة . قلت لك ألف مرة . . إن هذا مصير شعوب . . وليس لعباً ولا هواً . . يا معمر نحن الآن نستعد للقتال . . إن الموقف أخطر من إضاعة الوقت فى هذه القضية التى تسبق أوانها . . ثم إن لدينا تجربة الوحدة مع سوريا . . ولا يمكن أن نكررها . قلت لك ذلك ألف مرة . . ولا أفهم معنى إصرارك على موقفك . كأننى لم أقل لك شيئاً . . وكأننى لم أنصحك بشىء . . لابد أن تدرس يا معمر . . لقد شكلنا اللجان من أجل هذا الغرض . . فلنعطها بعض الوقت . .

ولكن اللجان لا تدرس أى شىء . . وإنما اللجان الليبية تعهدت ألا تساهم بشىء . . وفى الوقت الذى يتعجل فيه الوحدة . فإن اللجان تعطل الوحدة . .

وآخر ما اهتدى إليه تفكيرى أن قلت له : اجمع

لقد كانت النتائج عكسية تماما: أراد أن يغزو الأقلام والعقول والرجال والنساء والوزراء وأعضاء مجلس الشعب ورجال الدين ورجال السياسة والاقتصاد ونجح في أن يجعل منهم جميعا صفا واحدا معاديا له.

● لقد كانت فرصة ليعرفه الناس أكثر. وليروا ويتأكدوا من الذي عرفته بنفسي.. ولذلك بدلا من أن يخلق القذافي رأيا عاما معه.. خلق رأيا عاما ضده!..

يا ابني.. أمامك مصر كلها مفترحة خاطبها ناقشها.. اسمع منها.. وحاول إقناع الناس بهذه الوحدة الاندماجية. أمامك مجلس الشعب.. ومجلس الوزراء. وكل المؤسسات الصحفية. اشرح واعرض وأقنع.

وكان من ضمن البرنامج أن نذهب معا إلى الاسكندرية. واستقبله الناس ورحبوا به

شيء غريب حدث أثناء الرحلة إلى الاسكندرية. لقد التفت إلى اللافتات التي حملها المواطنون وقال: ألا ترى يا سيادة الرئيس؟

قلت: ماذا؟

قال: إنها نفس الشعارات التي عندنا في ليبيا!

بقصد أن الشعارات الليبية هي الأصل. وأن الشعارات المصرية هي الصدى أو هي الظل.. لماذا؟

لأنه يرى - ولأنهم قالوا له وأقنعوه - أن الثورة والذروة في ليبيا وأنه هو وحده الزعيم الملهم..

وخبر القذافي الكثير جداً عندما ذهب إلى المؤسسات الصحفية. وقال كل ما عنده.

والذين لا يعرفونه عن قرب رأوه. والذين لم يتأكدوا من حركاته العصبية ولمعان عينيه الجنوني قد رأوا ذلك بوضوح..

لقد كانت فرصة ليعرفه الناس أكثر. وليروا ويتأكدوا من الذي عرفته بنفسي.. ولذلك بدلاً من أن يخلق القذافي رأياً عاماً معه خلق رأياً عاماً ضده..

فالذين سمعوا عنه. عندما سمعوه غيروا رأيهم فيه.. والذين رأوا صوره ثم رأوه هو. أدركوا أنهم لا يحترمون أنفسهم بعد ذلك إذا احترموه..

لقد كانت النتائج عكسية تماماً: أراد أن يغزو الأقلام والعقول والرجال والنساء والوزراء وأعضاء مجلس الشعب ورجال الدين ورجال السياسة والاقتصاد. ونجح في أن يجعل منهم جميعاً صفاً واحداً معادياً له.

وتذكرت أيضاً. أنه هو أيضاً جاءني يقول لي: إن في الصحيفة اليومية التي يرأسها رئيس التحرير إياه قسماً للتفكير.. ومعهداً للفلسفة وأن أعضاءه والعاملين فيه هم قمة الفكر.. وأنه من الأفضل أن أستعين بهم في السياسة والعسكرية والحكم..

وأدهشني وأضحكني ذلك..

فهذه الصحيفة إذن قد احتكرت الفهم والحكمة.. وهذه الصحيفة التي احتكرت الرأي طول حكم جمال عبد الناصر تريد أيضاً أن تحتكر التفكير والحرية من بعده أيضاً..

وأطلقت على هذا المجلس وهذا المعهد الذي تحدث عنه القذافي اسم «مجلس الحكماء».. أي الذين احتكروا الحكمة.. فهم وحدهم القادرون على التفكير. وهم وحدهم الذين يصدرون الحكمة لمستهلك واحد في ليبيا هو القذافي.. ومن مصدر واحد في مصر هو رئيس تحرير هذه الصحيفة الذي يقوم بدور حكيم العصر والأوان..

أتذكر ذلك وأضحك. رغم أنني في ذلك الوقت كنت مهموماً. وليس لدي أدنى استعداد للضحك.. فما كان في استطاعتي أن أشغل لحظة واحدة عن الاعداد أو الاستعداد للقرار المصيري.. قرار الحرب..

وفي نهاية أغسطس سافرت إلى بلودان في سوريا. وقابلت الرئيس حافظ الأسد. واتخذنا قرار المعركة الذي هو يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣.

نقلب في بقية الأوراق.. في الأسبوع القادم إن شاء الله